تحليل البعد الرمزي في سياسات الانتشار النووي الراهنة "حالة كوريا الشمالية"

أ/إمام بن عمار - جامعة جيجل
باحث دكتوراه - جامعة باتنة1

ملخص:

إن دراسات الانتشار النووي منذ تزايد أهميتها في أعقاب الحرب الباردة، وفي ظل ثورة التكنولوجيا والعولمة التي أظهرت خطورة هذه الظاهرة، تراوحت بين تناول الأبعاد الأمنية والسياسية لطموحات الدول النووية، بناءا على فرضيات القوة والمصالح الإستراتيجية في النظام الدولي الراهن من جهة، والجوانب المتعلقة بالأهمية المعيارية والقيمية للتكنولوجيا النووية والأسلحة الناجمة عن استغلالها في البرامج النووية العسكرية من جهة ثانية، فلم يعد الاكتفاء بإظهار المصالح الإستراتيجية لامتلاك مقدرات نووية والمتمثلة في الدفاع والحماية ومواجهة الخصوم المحتملين والواقعيين على صعيدين إقليمي ودولي فحسب، وإنما امتد الاهتمام بنظرة قيادات الدول المختلفة لما تمثله من رموز قوية معبرة عن الهوية الدولية والاعتزاز بها داخليا وخارجيا، وهذا ما تبديه حالة الانتشار النووي في شرق آسيا، والممثلة في برنامج كوريا الشمالية النووي، الذي أثار اهتماما أكاديميا واسعا من حيث دوافعه المتنوعة، وما يحمله من تهديدات عالمية من ناحية أخرى.

Abstract:

The studies of nuclear proliferation that gained importance in the post cold war era, under the revolution of technology and globalization, and showed the danger of such phenomenon, focused on dealing with both the security-political dimensions of nuclear states aspirations,based on the assumptions of power and strategic interests in the contemporary international system, and the normative-symbolic aspects of the nuclear technology and the weapons resulted from its exploit in developing military nuclear programs on the other hand, so it is no longer interesting to shed light only on the strategic interests of

the acquisition of nuclear capabilities for the defense, protection and facing the probable regional and international rivals, for leaders tend to be interested in these weapons as strong symbols that express the international identity, which is the case of nuclear proliferation in east asia, namely the nuclear program of North Korea that was about a wide academic interest about its various motivations, and the global threats too.

مقدمة:

يتفق اغلب الباحثين على اعتبار فترة الحرب الباردة من اخطر الفترات الدولية من حيث التهديدات الأمنية التي حملتها ممارسات القوى الدولية وخاصة الكبرى منها آنذاك ممثلة في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، فقد أوشك العالم على خوض حرب عالمية ثالثة بسبب سباق التسلح النووي الرهيب، الذي ادخل العلاقات الدولية في عهد جديد مليء باحتمالات المواجهة، وكانت دراسات الأمن الدولي قد ازدهرت في فترة الثمانينيات من القرن العشرين، بعد أن تبينت خطورة الأسلحة النووية وسعي عدد من الدول الجديدة خارج إطار القوى النووية الخمس لاكتسابها ضمن ما يصطلح عليه الانتشار النووي الأفقي Horizontal Nuclear Proliferation والذي أصبح أمرا واقعا وتهديدا متناميا مع تجاوز العتبة النووية وفتح الباب لحلقات انتشار جديدة بدءا بدول آسيوية بادرت بالدخول في سباق تسلح نووي، ألا وهما الهند وباكستان، وذلك كمبادرة في سبيل كسر منطق احتكار نووي الذي فرضته القوة النووية الرسمية ضمن فلسفة معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية NPT عام 1968 .

فقد أصبح من الضرورة تقصي الدوافع العميقة التي تجعل الدول تدرك بان الخيار النووي خيارا عقلانيا يستجيب لمتطلبات كثيرة لعل أبرزها صورة الحداثة والهيبة التي تتشكل للدول وقادتها مدركين أهمية الأسلحة النووية في إكساب الدولة وضعا دوليا وإقليميا مميزا ليس فقط من منظور الاعتبارات الأمنية كالردع واستزادة القوة في مواجهة الأعداء المحتملين فحسب، وإنما من منظور قيمي معياري ينسب للأسلحة النووية وظيفة رمزية، ومن بين الدول المنتشرة بشكل مقلق للمجموعة الدولية والولايات المتحدة خصوصا كوريا الشمالية، وفي إطار استقصاء أهمية العامل الرمزي

الحداثي المعياري في فهم ديناميكية ومسار الانتشار النووي لهذه الدولة الأسيوية نحاول أن نفسر سعي كوريا الشمالية للمضي نوويا، في ظل إدراكها للمقدرات النووية سبيلا مختصرا للهيبة والحداثة على المستوى الدولي.

بناءا على ذلك، يمكن أن ننطلق من الإشكالية التالية: ماهي التفسيرات الرمزية-المعيارية الممكنة للتوجهات النووية لكوريا الشمالية، في ظل مقاربتها المتميزة لدور الأسلحة في الحفاظ على بناءها الذاتي في بيئة دولية عدائية ؟

أولا: الخيار النووي بين الهواجس الأمنية والمطالب الداخلية:

إن عزم الدول على تطوير برنامج نووي تمتلكه بفضله أسلحة نووية يرتبط بالعديد من الاعتبارات ذات بعدين امني وداخلي، بحيث تكون سياسات الدول النووية منذ المراحل الأولى لانتهاجها استجابة للواقع الدولي القائم أو لمصالح أو ضغوطات داخلية، وفي هذا الصدد يمكن البدء بالقول أن الخيار النووي الذي تعده اغلب الدول حاليا بأنه خيار نوعي واستراتيجي، يقوم على تفسيرين احدهما امني والأخر سياسي يتزعمهما كل من كينيث والتز Kenneth waltz وهو أب الواقعية الجديدة أو البنيوية، وممثل مقاربة السياسة الداخلية أو ما يسمى مقاربة التنظيم، سكوت ساقان Scott Sagan .

أ- الأمن كدافع لانتشار الأسلحة النووية Security as a motivation of Nuclear Proliferation

إن الاعتبارات الأمنية ظلت محافظة على قوتها التفسيرية في فهم الأسباب التي تدفع باتجاه الانتشار النووي، وقد ارتكزت على تفسير الواقعيين منذ الخمسينيات من الحرب الباردة، وذلك يعود أساسا إلى قدرة النظرية الواقعية على تبرير امتلاك السلاح النووي بسبب بيئة الأمن الصراعية-التنافسية التي شهدتها القوتين العظميين، خصوصا منذ أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962 التي اثبت إمكانية استخدام القنبلة كوسيلة لحسم النزاع.

بسبب القوة التدميرية الهائلة للأسلحة النووية، فان أي دولة تسعى للحفاظ على أمنها القومي يجب عليها أن تحدث التوازن Balancing ضد أي دولة منافسة لها تقوم بتطوير أسلحة نووية من خلال الحصول على رادع نووي، وهذا يؤدي إلى انتهاج سياستين:

أ- تقوم الدول القوية بما تستطيع فعله، بحيث عليها إتباع شكل من التوازن الداخلي عبر تبني سياسة مكلفة ومكتفية ذاتيا لتطوير أسلحتها النووية.

ب- تقوم الدول الضعيفة بما يجب عليها فعله، فبإمكانها الانضمام إلى تحالف موازن مع قوة نووية باستخدام وعد الانتقام النووي Nuclear retaliation من طرف الحليف بالنظر إلى ذلك كوسيلة لتحقيق ما يطلق عليه بالردع الموسع Extended deterrence.

تبقى استجابة الدول للتهديدات النووية البارزة تفسيرا شائعا وسائدا للانتشار النووي وقد أوجز هذا الرأي الباحث جورج شولتز G.Shultz قائلا ان الانتشار يولد الانتشار Proliferation breeds proliferation، فكل مرة تطور دولة ما أسلحة نووية للموازنة ضد منافسها الرئيسي فإنها تخلق أيضا تهديدا نوويا لدولة أخرى في المنطقة، وهذه الدولة بدورها تبادر بتطوير برنامج أسلحة نووية خاص بها للحفاظ على أمنها القومي.

تأتي الاعتبارات الأمنية على رأس الأسباب التي تدفع باتجاه انتشار الأسلحة النووية، فوظيفة السلاح النووي هي تفادي وقوع الحرب، وتاريخ البرامج النووية يبين أن الدول الأكثر رغبة في دخول هذه المغامرة هي دائما الدول التي تشعر بأنها معرضة لتهديد عسكري كبير ترى أنها لا تمتلك ضمانات أمنية كافية ضده[1] ويعتبرها الكثير هي الأهم نظرا لارتباطها بمطلب الأمن، ويظهر ذلك بشكل جلي من خلال تفسير الواقعية الجديدة القائم على توظيف العديد من المفاهيم المركزية، فالسلاح النووي يمثل:

أ- قوة سلام وامن نظرا لقوته الردعية الهائلة – الضربة الثانية ومقدرة الثار - retaliatory capacity، ومنعه للحرب وتحقيقه لاستقرار في توازن القوى المسلحة نوويا .

ب- الشكل النهائي للمساعدة الذاتية self-help بما أن النظام الدولي هو نظام الاعتماد على المقدرات الخاصة للدفاع الذاتي بسبب فوضوية النظام الدولي[2]، وتتبع عقلانية صناع القرار من هذا الواقع .

يمثل والتز هذا الطرح عبر مقاربة الردع العقلاني في إطار التفاؤل بعالم نووي مستقر خاصة في دراسته الشهيرة حول انتشار الأسلحة النووية والاستقرار الدولي، ويستدل قائلا أن العالم النووي ظل سلميا طيلة فترة الحرب الباردة نظرا لمراعاة الدول النووية حتى الجديدة منها شروط الردع النووي المستقر. فالسلاح النووي أنتج الردع بتأثير الضربة الثانية، وهذه الأخيرة ولدت اثر تفادي حرب نووية شاملة ومن ثمة الأمن المستمر والمستقر[3]، وأحسن مثال لتأكيد هذا الطرح أزمة الصواريخ الكوبية 1962.

ب- الانتشار النووي كمطلب للسياسة الداخلية Domestic politics:

يمكن لطموحات الدول النووية أن تتبع عن ضغوط داخلية سواء كانت من طرف النخب السياسية أم العلمية والاقتصادية الأخرى ناهيك عن دور المؤسسة العسكرية التي تدرك الحاجة القصوى لتطوير برامج أنشطة نووية متقدمة، وذلك على غرار دور المركب الصناعي العسكري في دعم السياسة الخارجية الأمريكية خصوصا في شقها المتعلق بالدفاع عن سياسات الدولة العسكرية والنووية على وجه الخصوص، ولذلك يمكن تجاوز التفسير الواقعي الأحادي القائل بان القلاقل الأمنية Security concerns كافية بدورها لحث الدول على التفكير بالاتجاه نحو القنبلة أو تكنولوجيات تطويرها.

وفي هذا الصدد أتى الباحث سكوت ساقان Scott Sagan بنموذج السياسة الداخلية كرد فعل على النموذج الأمني التقليدي الذي يمثله والتز، الذي يركز على مطالب واهتمامات الفواعل الداخلية في الدولة بمختلف مراتبها وعلاقاتها بالسلطة القائمة التي تعمل على تشجيع أو ثني الحكومات على السعي لامتلاك القنبلة سواء كان الحصول على الأسلحة النووية يخدم المصالح القومية للدولة أو لا، فان ذلك من

المحتمل آن يخدم المصالح البيروقراطية والسياسية الضيقة على الأقل – للفواعل الفردية بداخل الدولة.

و يقدم ساقان ثلاثة فواعل داخلية رئيسية ذات العلاقة بقرار الدولة للحصول على أسلحة نووية وهي:

أولا: مؤسسة الدولة للطاقة النووية، وتشمل مؤسسات وشركات علمية تديرها الدولة كالمخابر ومنشات مفاعلات مدنية.

ثانيا : الجيش كفاعل بيروقراطي داخلي ووحدات هامة بداخله، غالبا ما تكون ضمن القوات البحرية وبيروقراطياتها المهتمة بالدوافع النووية .

ثالثا : السياسيون، بحيث يكون أفراد وجماهير تؤيد بقوة الحصول على أسلحة نووية، بحيث تستخدم هذه الأطراف موضوع الأسلحة النووية لخدمة أحزابها السياسية أو للتأثير على مسار صنع القرار في الحكومة، ويكون مباشرا عبر سلطتهم السياسية أو غير مباشرة عبر التحكم في الإعلام والرأي العام، فهم يخلقون ظروفا محفزة لامتلاك الأسلحة النووية عبر تشجيع الإدراك بوجود تهديدات خارجية، وتأييد الدعم السياسي لزيادة الإنفاق على مجال الدفاع، وكذا التركيز على تشكيل تحالفات داخلية بداخل المركب العلمي-العسكري-الصناعي[4] .

ثانيا/ الوظيفة الرمزية - المعيارية للأسلحة النووية :

إن الاعتبارات غير المادية المرتبطة بخيار التسلح النووي تكشف بعمق عن أهمية أهداف النفوذ والهيبة prestige and influence التي يخلقها الامتلاك النووي لدى الكثير من الدول الصاعدة نوويا منذ اجتياز العتبة النووية بدءا بالهند وإسرائيل، وهذا الافتراض يقودنا نحو التسليم بان الدول ذات الطموحات النووية العميقة على غرار إيران وكوريا الشمالية لا تنظر للمقدرات النووية كأداة لحماية أنظمتها الحاكمة أم استجابة لجوار عدائي مهدد لوحدتها القومية فحسب، وإنما فإنها ترى فيها فرصة كبيرة للاعتزاز القومي وتحقيق الذات القومية National self-assertion، لان هذه الدول تشعر بأنها دولا منبوذة دوليا ومستهدفة إقليميا بسبب سياساتها المتحدية لاملاءات الدول الكبرى.

ويقول ساقان أن هذا النموذج المعياري يركز على وظائف الأسلحة النووية بعيدا عن الاعتبارات الأمنية البحتة والسياسية الداخلية، ويستخدم هنا عبارة الرموز النووية وهوية الدولة nuclear symbols and state's identity– ويوظف مصطلح المعايير Norms احتكاما إلى افتراضات المدرسة البنائية في العلاقات الدولية[5]، فالقرارات النووية تخدم وظائف رمزية هامة انعكاسا لهوية الدولة وموقعها الإقليمي والعالمي، بحيث لا تحددها حسابات قادة الدول حول مصالح الأمن القومي أو مصالحهم البيروقراطية الضيقة، ولكن المعايير – القواعد السلوكية – والمعتقدات المشتركة حول مدى مشروعية ما يحدث في العلاقات الدولية، خاصة تنافس الدول لأجل امتلاكها الأسلحة النووية وتكنولوجياتها .

يناقش كارستين فراي Karsten Frey دور المعايير في صنع السياسة النووية[6]، من خلال مفهوم الأسطورة النووية.Nuclear myth والتي يقصد بها ارتباط المعاني الرمزية بهوية الدولة والهيبة الدولية المطلوبة بامتلاك الأسلحة النووية، ويشير سكوت ساقان إلى أن العديد من الباحثين يشددون على الارتباط الموجود بين القرارات المؤيدة لامتلاك الأسلحة النووية وتعزيز الهيبة الدولية قائلا أن القرارات المتخذة لصالح الأسلحة النووية أو رفضها تشكل وتعكس في أن واحد هوية الدولة وصورتها الذاتية self- image في النظام الدولي، ويستدل هنا بمثال فرنسا في الستينات ودول أخرى حيث كان من الهيبة والمشروعية بالنسبة لها هو إجراء تجارب نووية ليس فقط لأنها تعتبر طريقا مختصرا نحو القوة بتفكير الواقعين فحسب، وإنما لأنها رمزا للحداثة والاستقلال الوطنيين[7] .

وحسب سكوت ساقان فان دوافع سلوك التسلح النووي ترتبط ارتباطا وثيقا بالقيم المبنية اجتماعيا لهذه الأسلحة ويقول في هذا الصدد : "من وجهة نظر سوسيولوجية، يمكن اعتبار التنظيمات العسكرية وأسلحتها بأنها تخدم وظائف مشابهة لوظيفة الإعلام، الفرق الاولمبية، فهي جزء مما تعتقد الدول الحديثة انه يجب امتلاكها لكي تكون دول شرعية وحديثة legitimate and modern"[8] .

أ- سيكولوجية صنع السياسة النووية :

إن الميل المعياري لدولة بشان الأسلحة النووية يجد جذوره في هوية المجتمع، ففكرة الهوية في سياق خيارات السياسة الخارجية يعكس فكرة أن المجتمع يملك ما يقابل دول أخرى في العالم – مفهوم الهوية المقارنة – وذلك يحدد ما إذا كان البلد يرى موقعه أكثر تنافسية أو توافقية . كما أن مفهوم الهوية يترجم إلى معايير أو قواعد سلوكية محددة لخيارات السياسة الخارجية والنووية، وتظهر في السياسة النووية عبر نموذج نحن ضدهم we / against / them، والذي تجلى أكثر في الدول ما بعد الاستعمارية وهي في الغالب القوى المنتشرة نوويا بعد الحرب الباردة.[9]

فدور الآخر كان مرهونا بالقوة الاستعمارية السابقة أو من سيخلفها، وهذا المثال يظهر أكثر جلاء في حالتي الهند وإيران التي من خلالها تظهر الميولات القوية ضد الاستعمار، والخطاب السائد في كلا البلدين يبدي أبعادا انفعالية/عاطفية حيث تظهر معارضة المنظومة العالمية للابارتيد النووي nuclear apartheid مشابهة للكفاح من اجل الاستقلال سابقا . فالهويات ما بعد الاستعمارية تعمل على زيادة وإضفاء أبعاد عاطفية قوية من الإذلال والافتخار بتعريف العداء القائم بيننا وبينهم والتأثير القوي لذلك على الحس الجماعي بالسيادة، وهذا الميل يتصادم أساسا مع النظام النووي الدولي، بحيث أن القوى الاستعمارية السابقة تدعي التفوق والتميز عبر معاهدة منع الانتشار النووي الغير متساوية خاصة منظومة الضمانات والتي تدركها الدول الأخرى بكونها انتهاكا للشعور بالسيادة والكرامة القومية التي تحددها دول ما بعد الاستعمار سعيا وراء منطق الأسطورة النووية المجسدة نظريا في مجموعة المعايير الملائمة والمؤيدة لامتلاك الأسلحة النووية[10] .

ب- العواطف/ الانفعالات والخيار النووي:

تترجم الهوية عموما إلى معايير عبر محددات إدراكية – انفعالية، فالنقاش المجتمعي حول المسالة النووية تحكمه هذه المحددات غير المادية والقواعد السلوكية المتمثلة في أحكام الخير والشر، مما يثير إشكالية دور الانفعالات / العواطف في السياسة الخارجية بشكل عام والسياسة النووية بشكل خاص، وقد أسهم الباحث كراوفورد

نيتا Crawford neta كثيرا في هذا المجال عبر دراسته الشهيرة " العاطفة في السياسة العالمية "passion in world politics بحيث يقول انه من الضروري استكشاف تأثير هذه المحددات المعنوية على خلق معايير أو قواعد سلوكية في عملية صنع السياسة النووية، ويسلم بان العواطف يتم بنائها اجتماعيا وتخدم وظائف سوسيوثقافية في المجتمع، وهذا الفهم الاجتماعي البنائي للعواطف يعتبر جد مناسب لتفسير المتغيرات الثقافية في دور العواطف في صنع السياسة النووية للدول.(11)

وفي نموذجه حول الخيار النووي لقادة الدول، قام الباحث جاك س.هيمانز Jacques E.C.Hymans بتطوير مفهوم – الهوية القومية – الذي يعرفه بأنه فهم الفرد لهوية الدولة وشعوره بما تمثله الدولة أساسا وقيمته مقارنة بالدول الأخرى على الصعيد الدولي. ويميز الباحث القادة القوميين المقاومين عن نماذج أخرى من القادة وهوياتهم بأنهم الأكثر احتمالا أن يطوروا مواقف ايجابية مؤيدة لامتلاك الأسلحة النووية معتزين بإظهارها والتفاخر بالقدرة على تطويرها مقارنة بالدول المالكة لها أصلا، خاصة الخمس الكبار ويصفهم بالقوميين المعارضين والذين يدركون انفعاليا أن دولهم وأنظمتها السياسية تتعارض بصفة طبيعية مع عدو خارجي، وبالتالي فهي إما مساوية له – أي العدو -، أو متفوقة عليه، ومثل هذا المفهوم يولد عواطف الخوف والاعتزاز بالتحدي خاصة إذا اقترن بامتلاك الأسلحة النووية كعملة صعبة، ويطلق عليه الباحث وصف الخليط السيكولوجي المتفجر، والذي من خلاله يطور قادة الدول رغبة جامحة لامتلاك النووي تتجاوز أي حساب أخر:

❖ **الخوف:** يحدد الفاعل علاقته بالأخر - أي الدول القومية - حصريا على أساس تعارضي اعتبارا من الشعور بالحصانة أو عدم قابلية الانكشاف invulnerability، والذي ترمز إليه الأسلحة النووية نظرا لكونها أدوات قوة رادعة بامتياز.

❖ **الاعتزاز**: وهو الشعور المعنوي والقومي بالرغبة في اكتساب مكانة محورية بين الدول، وهو العنصر الحاسم المحدد لمفهوم الهوية ويوحي إلى البعد العمودي للعلاقة القائمة بين نحن / وهم أي العدو المفترض، وهذه الرغبة تترجم إلى موقف عملي وهو

سياسة تأييد امتلاك القنبلة مثل حالة إسرائيل في الشرق الأوسط، وكوريا الشمالية في جنوب شرق أسيا.[12]

ضمن مفهوم هوية الدولة، تجعل الأسطورة القنبلة النووية بمثابة أداة هيبة ومكانة مرموقة ومن ثمة مبررا لزيادة سمعة الدولة، خاصة إذا ارتبط هذا الأمر بأنظمة استبدادية وغير منفتحة ديمقراطيا على العالم.

ثالثا / الانتشار النووي الكوري الشمالي كاستجابة رمزية ومعيارية لمطلب التسلح النووي:

منذ تفجيرات القنابل الذرية الأمريكية على اليابان - هيروشيما ونقازاكي - في أوت 1945، دخلت العلاقات الدولية عمليا وأدبياتها الإستراتيجية نظريا عهد الأسلحة النووية كأسلحة مطلقة بتعبير المفكر الاستراتيجي برنارد برودي Bernard Brodie، وأصبحت ردا عقلانيا على هواجس الأمن إلى جانب أنها آلية لردع الأعداء والتغلب عليهم في حالات الأزمات والمواجهات الحاسمة[13] ، ومع مرور الزمن تغير هذا الفهم إلى حد كبير، وذلك من اعتبارها وسائل عسكرية متاحة لرجال الإستراتيجية والدفاع، إلى كونها عملات صعبة ذات معان رمزية أثرت بدورها على هوية الدولة والشعور بذلك عبر خلق قواعد سلوكية في النظام الدولي، وتعتبر كوريا الشمالية نموذجا مناسبا للدول التي تشبثت بالخيار النووي ليس فقط لاعتبارات القوة الوطنية والإقليمية فحسب، وإنما لإظهار دورها وموقعها للعالم وبذلك أثارت حفيظة الغرب عموما والولايات المتحدة خصوصا من خلال تطويرها لبرنامج نووي نشيط أعطى ثماره من خلال التفجيرات الناجحة النووية سنتي 2006 و2009.

الرمزية النووية بمنظور القيادة الكورية الشمالية :

إن جذور الطموحات النووية الكورية الشمالية تعود إلى منتصف الخمسينات من القرن العشرين، من خلال توقيعها اتفاقا نوويا مع الاتحاد السوفيتي وإرسال علماء وباحثين هناك لتلقي التكوين والتدريب اللازمين [14]، وفي الستينات بدأت كوريا الشمالية في العمل بتصميم على مفاعل أبحاث وفره لها السوفييت، وسمحت للوكالة الدولية للطاقة الذرية بإجراء تحقيقات ضمانية فيه.

انضمت كوري الشمالية إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية سنة 1974، وسمح لها بالحصول على المساعدات التقنية اللازمة في الاستخدام السلمي للطاقة النووية، ومع ذلك فان الانطلاقة الحقيقية لبرنامجها النووي لا يمكن ضبطه بدقة، ففي بداية الثمانينات بدأت شكوك أمريكية بشان بناء كوريا الشمالية لمفاعل سري على بعد 100 كم شمال بيونيونغ في مدينة يونغ بيونغ . وفي سنة 1985 وقعت على معاهدة حظر الانتشار النووي مقابل تزويدها سوفيتيا بأربع مفاعلات الماء الخفيف، وفي سنة 1989 بدأت تتضح مخاوف من قدراتها النووية خاصة مع تأكد قيامها باستخلاص البلوتونيوم الكاف لإنتاج قنبلتين من الوقود المنضب خلال مئة يوم في المفاعل، واستمرت الأحداث مع الولايات المتحدة، وبذلت جهود حثيثة حول التخصيب وتطوير تكنولوجيا الصواريخ إلى أن استطاعت تجريب ناجح للسلاح النووي سنة 2006 والأخر سنة 2009، وأصبحت كوريا الشمالية دولة نووية يحسب لها حساب خاصة في ظل تطورها في مجال الصواريخ وعمليات الإطلاق.

يمكن التسليم بوجود أبعاد رمزية كثيرة دفعت للقيادة الكورية الشمالية باستكمال برنامجها النووي والتوصل إلى إجراء تجارب نووية، خاصة إذا انطلقنا من إحدى التفسيرات غير المادية التي ذكرها الباحث سكوت ساقان في نموذج المعايير، ناهيك عن الدوافع الأمنية والسياسية الداخلية المرتبطة بذلك .

❖ إن كوريا الشمالية تمثل أخر الدول الستالينية في النظام الدولي لما بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ونهاية الحرب الباردة، وذلك يفسر خلفية استمرار رفعها لشعار طموح توحيد شبه القارة الكورية عبر الأيديولوجية الشيوعية، كما أن سياستها الخارجية تتميز بالانعزالية خاصة تجاه الغرب الذي تم تنميط صورته بأنه العدو والخطر الذي ينبغي أن تعد له العدة، خصوصا بعد أحداث الحرب الكورية ووقوف الولايات المتحدة إلى جانب كوريا الجنوبية في فترة الخمسينيات من القرن العشرين، فهنا يمكن استحضار صورة العدو وإدراكه سياسيا والاستجابة الممكنة له، حيث كان القائد كيم سونغ أيل Kim Sung il يصور الولايات المتحدة بأنها الخطر الإقليمي عبر تواجد قواتها هناك، وأن أبعاد سياستها الليبرالية تمثل تهديدا لهوية

دولته، وأن أسلوب المواجهة سيكون هو امتلاك الأسلحة النووية، ومن ذلك الاعتزاز برفض تبعيتها للخارج عموما خاصة من ناحية صنع القرار، وبذلك فان الممارسة الرمزية للطموح النووي تجلت منذ السنوات الأولى لبرنامجها النووي.

❖ انغلاق النظام السياسي وعدم تأييده إقليميا ودوليا، أعطى فرصة ذهبية للقيادات الكورية المتعاقبة بعقلنة خيارها النووي وإعلاءه فوق جميع الاعتبارات تقديسا لهوية الدولة الشيوعية، وافتخارا باستقلالها الوطني وعدم اعتمادها على الغرب، وكان ذلك أيضا مناسبة لتبرير جميع ممارسات النظام الداخلية والخارجية، وكذا إبراز مشروعيته الأصيلة لدى عيون الشعب والمجتمع الدولي .

❖ الكرامة القومية لدى القيادة الكورية الشمالية ارتبطت منذ الجهود الأولى لتطوير برنامجها النووي بقدرة الدولة ذاتيا على الحصول على تكنولوجيا نووية مستقلة، وتوظيف خبرات ومهارات علمائها المكونين في الخارج خاصة الاتحاد السوفيتي سابقا، وإظهار استعدادها للظهور بقوة في الصف الدولي، وقد أعلن الحزب الحاكم رسميا في 24 ابريل 2006 عن ذلك: "إن تطوير أسلحة نووية يعتبر انجازا عظيما كونه يعمل على تمجيد كرامة البلاد واعتزازها القوميين...".

فامتلاك كوريا الشمالية للأسلحة النووية يرتبط بإدراكها الايجابي والمحسوب بوزنها السياسي الإقليمي والعالمي، وذلك ردا على كل ما يقال عليها من أوصاف، كالدولة المنبوذة والمارقة والإرهابية.... وما يزيد ذلك أهمية هو تهديد بقاء نظامها، فتبقى الأسلحة عنوان لحداثتها واستمراريتها حتى في ظل احتفاظها بإيديولوجيتها الشيوعية في عهد الديمقراطيات الحالي.

خاتمة:

بناءً على ما سبق يمكن القول أن معادلة الانتشار النووي لا تقتصر فقط في مضمونها على الاعتبارات الأمنية والسياسية المرتبطة بالدفاع والاستقلال الوطني أو مطالب فئات داخلية بالمجتمع والسلطة، وإنما تتعداها إلى الأبعاد الرمزية بقيمة السلاح النووي في حد ذاته ومغزاه بالنسبة لمكانة الدولة وهيبتها ونفوذها مقارنة بالدول الأخرى خاصة المسيطرة والمتفوقة عسكريا وتكنولوجيا وسياسيا على المستوى

العالمي، وذلك ينطبق على حالة كوريا الشمالية، فقياداتها المتعاقبة منذ فترة الخمسينيات، تشعر بالانكشافية والتهديد إقليميا، خصوصا في ظل الوجود الأمريكي في المنطقة قوات أمريكية منتشرة وشبكة تحالفات مع دول الجوار، ولهذا يصبح للسلاح النووي الكوري الشمالي رمزا معياريا مفسرا لسياسة المواجهة والتحدي للغرب.

ارتباط الاعتزاز القوي لبيونغ يونغ بتفوقها في تطوير سياسة نووية ذاتية ومتنوعة منذ سنوات الحرب الباردة فهي الاستثناء المتميز الذي أشار إليه الكثير من الباحثين في الإستراتيجية والدراسات الأمنية من خلال اعترافها المتحدي والمبالغ فيه بالنسبة لتطويرها برنامج نووي وتجاربها الناجحة منذ سنة 2006، خاصة وأنها الدولة الشيوعية الوحيدة المحافظة على تقاليدها التاريخية – الإيديولوجية المستقاة من العهد الستاليني، والتي ترفض التبعية للغرب في مسائل الدفاع والأمن، مما يجعل الخيار النووي احد أهم ثوابت سياساته الخارجية من الناحية المعيارية.

المراهنة على ورقة الهيبة الإقليمية – الدولية International-regional prestige، لأنها تدرك بان نظامها الحاكم بمرجعيته الإيديولوجية-السياسية، وفلسفته العسكرية في كسر الاحتكار النووي الدولي المكرس في معاهدة منع الانتشار 1968، لا يروق الغرب وعدد من حلفائه في محيط بيونغ يونغ، على غرار اليابان وكوريا الجنوبية، ناهيك عن الصين التي تظهر مؤخرا مواقف معارضة لبرنامج كوريا الشمالية النووي، ويتعرض لحصار سياسي واستراتيجي طويل، مما يجعل امتلاكها لبرنامج نووي نشيط ومتنوع طريقا للاعتراف بها في منطقة آسيا وجيرانها، وإبرازا لمكانتها كدولة متحدية وقادرة على إثبات ذاتها عسكريا وتكنولوجيا على الصعيد الدولي.

وختاما لما سبق، يمكن التسليم بعدم الاكتفاء بالتفسير الأمني المطلق لسياسات كوريا الشمالية النووية الأمن والدفاع والبقاء، بناءا على الاعتراف بالقوة الرمزية للأسلحة النووية في نظرها وإعطاءها موقعا متميزا مقارنة بقوى إقليمية ودولية متفوقة في المجال العسكري والنووي على وجه الخصوص.

الهوامش:

(1)- برونو تيرتري، السلاح النووي بين الردع و الخطر، تر : عبد الهادي الإدريسي، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة و التراث كلمة، 2011، ص 111.

(2)- Jacques E.C.Hymans, theories of nuclear proliferation : the state of the Field, available at :
www-bcf.usc.edu/.../Hymans2006Theories.pdf

(3)- Sagan, S. D. and K. N. Waltz (1995). The spread of nuclear weapons: a debate. New York, W.W. Norton. Available at:
http://www.olivialau.org/ir/archive/sag5.pdf

(4)- Scott Sagan, why do states build nuclear weapons? : three models in search of a bomb , International Security, Vol. 21, No. 3. (Winter, 1996-1997) available at:
http://iis-db.stanford.edu/pubs/20278/Why_Do_States_Build_Nuclear_Weapons.pdf

(5)- Karsten Frey, nuclear weapons as symbols, the role of norms in nuclear policy making, 2006, available at:
http://www.recercat.net/bitstream/handle/2072/4273/WP_IBEI_3.pdf?sequence

(6)- برونو تيرتري، مرجع سابق، ص114.

(7)-Scott Sagan, op, cit

(8)-Karsten Frey, op, cit.

(9)- ران دال فورسبرج و آخرون، منع انتشار الأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية: مقدمة في وسائل منع الانتشار، تر: سيد رمضان هدارة، القاهرة، الجمعية المصرية لنشر المعرفة و الثقافة العالمية، 1998.

(10)- Karsten Frey, op, cit.

(11)- Ibid

(12)- Charles-Philippe David, la guerre et la paix : approches contemporaines de la sécurité et de la stratégie, 2 Ed, paris, sciences po, 2006, 235-236.

(13)- Su-kwang Kim, nuclear options for a unified Korea: prospects and impacts, thesis at naval postgraduate school, Monterey, California, December 2000, p21. Available at:
http://edocs.nps.edu/npspubs/scholarly/theses/2000/Dec/00Dec_Kim.pdf

(14)- Ibid